

الحلقة المئة والواحد

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

هل بحثت مرة مستمعي عن الحقيقة؟ وهل تساءلت أين هي تكمن؟ وهل حاولت أن تجد الطريق الصحيح الذي تسلك فيه؟ هناك حقائق كثيرة مزيفة تحاول أن تخدع الإنسان، وهناك أيضاً طرق عديدة غير صالحة تحاول أن تجذب الإنسان إليها. لهذا يجب على المرء أن يكون متنبهاً لئلا يُخدع بالحقائق البراقة، و لئلا يندفع نحو طرق لن تجلب له إلا الخراب والدمار لحياته. أو ليس هذا ما يحصل مع الكثيرين؟

كان المخلص المسيح يحاول أن يُخبر تلاميذه عن ذهابه إلى الصليب قريباً، وأنه لن يروه بعدئذ. فقال لهم: يا أولادي، أنا معكم زمناً قليلاً بعد. ستطلبونني، وكما قلت لليهود: حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا، أقول لكم أنتم الآن». ثم أضاف قائلاً لهم: «لا تضطرب قلوبكم. أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي. في بيت أبي منازل كثيرة، وإلا فإني كنت قد قلت لكم. أنا أمضي لأعد لكم مكاناً، وإن مضيت وأعدت لكم مكاناً آتي أيضاً وأخذكم إليّ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً، وتعلمون حيث أذهب وتعلمون الطريق». قال له توما: «يا سيّد، لسنا نعلم أين تذهب، فكيف نقدر أن نعرف الطريق؟» قال له يسوع: «أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي» (بشارة يوحنا ١٣: ٣٣؛ ١٤: ١-٦). لقد كان حواراً مثيراً بين المسيح الذي كان يعلم خطة الله نحوه من جهة ذهابه إلى الصليب، وبين التلاميذ الخائفين من رحيل سيدهم عنهم. سنتأمل الآن بهذا الحوار فابقوا معنا أصدقائي.

مستمعي الكريم، لقد أوضح المخلص المسيح لتلاميذه أنه سيذهب إلى مكان لا يقدرّون هم أن يأتوا إليه. وكان يقصد بذلك أنه سيذهب إلى الصليب تنفيذاً لخطة الله الأب لكي يموت كفارة عن الجنس البشري. ولهذا قال لهم لا تقدرون أن تأتوا معي إليه، أي إلى الصليب. لكن المسيح في نفس الوقت طمأن تلاميذه قائلاً: «لا تضطرب قلوبكم. أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي». ثم أضاف قائلاً: أنه سيعدّ لهم مكاناً «حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً، وتعلمون حيث أذهب وتعلمون الطريق».

وهنا طرح عليه التلميذ توماً سؤالاً هاماً حيث قال له: «يَا سَيِّدُ، لَسْنَا نَعْلَمُ أَيْنَ تَذْهَبُ، فَكَيْفَ نَقْدِرُ أَنْ نَعْرِفَ الطَّرِيقَ؟» وهو كان على حق إذ لم يكن أحد يعلم إلى أين سيذهب المسيح. لقد ظنَّ التلاميذ أن المسيح سيذهب إلى مكان معيّن حيث لا يعود بإمكانهم أن يروه. وبما أنهم يجهلون هذا المكان فمن البديهي أنهم لا يعرفون الطريق إليه أيضاً. لكن المسيح أجابه مبيّناً خطأ ظنونهم وكاشفاً لهم حقائق روحية هامة. إن المسيح لم يكن يريد أن يذهب إلى مكان آخر، بل كان يريد أن يقدم نفسه فداءً للجنس البشري، بموته على الصليب. ومن خلال عمل الفداء هذا يستطيع التلاميذ أن يعرفوا الطريق، ويكونوا في نفس الوقت مع المسيح نفسه.

لهذا أجاب المسيح توماً قائلاً: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ إِلَّا بِأَبِي». إذن إن المسيح نفسه هو الطريق، أي طريق الخلاص الكامل للإنسان، وهو الحق، أي حق الله النهائي المعلن للإنسان، وهو الحياة، أي مصدر الحياة الحقة. وليس هذا فحسب بل أضاف المسيح حقيقة هامة جديدة، أن ليس أحد يأتي أي يصل إلى الله الأب إلا بي أي من خلالي أو بواسطتي. وهذه نقطة هامة جداً. إن المسيح إذن هو جسر العبور الوحيد الذي وصل ما بين الإنسان الخاطئ والله القدوس وذلك من خلال موته الكفاري على خشبة الصليب، وإتمامه لعمل الفداء.

صديقي المستمع، إن المخلص المسيح هو الطريق لأنه كلمة الله الأزلي الذي تنازل من السماء وصار إنساناً، لكي يكون الوسيط الوحيد ما بين الله القدوس والإنسان الخاطئ. وقد أصبح الوسيط الوحيد عن جدارة وحق عندما أخذ عقاب خطايانا بموته الكفاري على الصليب. ويعمله الفدائي هذا دشّن المسيح الطريق لكي يتصالح الإنسان الخاطئ مع الله القدوس. وهكذا عندما يؤمن أي إنسان بموت المسيح الكفاري على الصليب من أجله، ينال الغفران عن خطاياها، ويصبح مقبولاً أمام الله ومن أولاده المبرّرين، وينال الحياة الأبدية. لهذا لم يكن غريباً أن يعلن المسيح بعد أن قال أنه هو الطريق والحق والحياة، أن «لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ إِلَّا بِأَبِي». فهو الوحيد الذي أتمّ عمل الفداء والمصالحة ما بين الإنسان الخاطئ والله القدوس، والذي نستطيع من خلاله أن نأتي أو نُقبل إلى الله الأب.

إن مجرد الإيمان بوجود الله والأنبياء والكتب المقدّسة، أو تأدية الفرائض والواجبات الدينية، والقيام بالأعمال الصالحة، دون الإيمان بالمخلص المسيح لا يعني شيئاً أمام الله، وبالتالي لا يخلص الإنسان من خطاياها، ولا ينقذه من الهلاك الأبدي. أو ليس هذا ما يعتقده الكثيرون يا صديقي؟

أجل إن المخلّص المسيح ليس هو الطريق فحسب، بل هو أيضاً الحق والحياة. فهو بشخصه الحق الكامل الذي أُعلن للبشر جميعاً، وفيه كانت الحياة كما أخبرنا البشير يوحنا في بداية بشارته. ولهذا أعلن الرسول بطرس من رسل المسيحية الأوائل في دفاعه عن نفسه أمام رؤساء اليهود قائلاً لهم: «وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلَّاصُ. لِأَنَّ لَيْسَ اسْمَ آخَرَ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَتَّبَعِي أَنْ نَخْلُصَ» (أعمال الرسل ٤: ١٢).

إذن إن يسوع المسيح هو المخلّص الوحيد الذي يخلّص الإنسان الخاطئ. فهل تراك تؤمن مستمعي بالمسيح المخلّص الوحيد الفريد؟ وهكذا تُغفر خطاياك وتُصبح من أولاد الله، وتتأكد من نوالك الحياة الأبدية!